A.U.B. LIBRARY

Cat. Augusti. 1774

189
I13kA
C.3

SYRIEN D'ANTIOCHE
الكنيسة السريانية الارثوذكسية
بطريركية السريان الارثوذكسية
الانطاكية ١٩٣٣ م
حمص

كتاب

حديث الحكمة

للعلامة الشهير وحجة الفلاسفة الخطير

مار غريغوريوس ابي الفرج ابن العبري مفريانه المشرق السرياني

المتوفى سنة ١٢٨٦ م

نشره وصححه نقله لاول مرة

مار اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك انطاكية وسائر المشرق

حقوق اعادة الطبع محفوظة

L'ENTRETIEN DE LA SAGESSE

par

MAR GRÉGORIUS ABULFARAGE BAR HEBRŒUS

Maphrien (catholicos) syrien de l'Orient

PUBLIÉ ET CORRIGÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS

par

Sa Béatitude Mgr IGNATIUS APHRAM I BARSAUM

Patriarche syrien d'antioche et de tout l'orient

58458

مطبعة السلامة - حمص

١٩٤٠

Cat. Augusn. 1774

DE BELEY * LIBRARY * PRINCETON

مقدمة الناشر

نقول بعد حمد الله سبحانه على سوابغ نعمه ، انا نشرنا منذ زهاء سنتين باللغة العربية رسالة نفيسة في علم النفس الانسانية للعلامة الاكبر حجة الفلاسفة واللاهوتيين سيدنا مار غريغوريوس ابي الفرج الملطي المشهور بابن العبري مفريان المشرق السرياني (١٢٨٦ +) الذي كان كرسيه مدينة تكريت ، اما سلطانه الحبري فكان يمتد الى العراقين العربي والعجمي وجزيرة ابن عمر وبلاد فارس. وقد استظل السريان خاصة ومعظم الملل الشرقية المسيحية تحت لوآء معارفه الغزيرة وعلومه الواسعة في عصره وحتى يومنا هذا .

ورأينا الآن ان ننشر كتابه الموسوم بحديث الحكمة وقد صنفه باللغة السريانية ولخص فيه المنطق والطبيعيات وقسماً من علم اللاهوت بعد مؤلفاته المطولة المشهورة في الفلسفة والعلم الالهي وهي زبدة الحكمة وتجارة التجارات ومنارة الاقداس . وكتاب حديث الحكمة خلاصة دقيقة نافعة من كتاب زبدة الحكمة ألفه اجابةً الى التماس بعض اصدقائه الذين رغبوا في الوقوف على امهات الاصول الفلسفية بعبارة مختصرة وشرح وجيز ، فجاء في مقدمة واربعة ابواب تشتمل على مئة وستة فصول .

اما الاصل السرياني فقد نشره المستشرق هرمان جانسن في مدينة ليباج سنة ١٩٣٧ منقولاً الى اللغة الفرنسية ، وعلّق عليه شروحاً ضافية وافتتحه بمقدمة اسهب فيها في بحث منزلة المصنف المتبحر في الفلسفة جآء فيها بالغث والسمين وليس هنا محل بحثها ، معتمداً على اربع وعشرين نسخة اقدمها أنجزت سنة ١٢٩٠ م .

واما النقل العربي ، والاظهر انه لاحد علمائنا من رجال القرن الرابع عشر كالراهب دانيال القسيس الماردیني المعروف بابن الحطاب الذي كان موجوداً سنة ١٣٨٢ م او غيره ممن هو في طبقته ، فلم يرد الا في النسخ التي كتبت في المئة الخامسة عشرة وما بعدها .

وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسختين في خزانتنا احداهما بخطنا كنا انجزناها سنة ١٩٠٦ عن نسخة متوسطة القدم وجدناها بماردين وهي بخط الراهب القسيس عبد الله الماردیني المعروف بالراهب المشلول وقد فرغ منها في دير مار يعقوب الحبيس للكلدان في مدينة سعرت عام ١٩١٩ يونانية (١٦٠٨ م) والثانية بخط اثناسيوس افرم العينوردي اسقف دير العمر (دير قرتمين في طور عبدين) انتهى منها وهو شماس في قريته في اواسط سنة ١٨٧٢ م . فضبطنا النص بمعارضته بالاصل وصححنا فيه اغلاطاً عدة من تصحيف النساخ وسهوهم واضفنا الى الفصول رقم العدد تسهيلاً على القرآء والدارسين .

وكنا نود لو نشرنا الاصل السرياني والنقل العربي وبحثنا اسلوب المؤلف الجليل رضي الله عنه وطريقته في كتابه هذا وعلقنا عليه من بعض مصنفاته الحكمية المطولة ما يزيده ايضاحاً ، سيما وكتبه الممتعة لا تزال سريانية مخطوطة ولكن الظروف الحاضرة لم تسعف رغبتنا فاقتصرنا على نشر الترجمة العربية لفائدة طلبة مدرستنا الكهنوتية خاصة ولطلاب الحكمة عامة . والله سبحانه نسأل ان ينفع به مطالعيه انه اكرم مسئول وكفى به هادياً ومعيناً .

في قلايتنا البطريركية في حمص ١٠ آب سنة ١٩٤٠ م

كتاب حديث الحكمة

تصنيف ابينا ملك العلماء مار غريغوريوس ابن العبري

رضي الله عنه وحرس جمهور المؤمنين بدعائه

وضعه للراغبين في معرفة المذاهب الحكمية والآراء العملية

مقدمة

تعاليتَ اللهمّ فى ازليتكَ ، وتقدستَ من كل ذي روح في أقنوميتك ، جلّت عظمتك من كل عظمة ، وحارت في قدرتك ذوو العقول والحكمة . اهّلنا اللهم لما منك يُزلفنا ، وانقذنا مما عنك يبعدنا ، فانك الغرض والغاية ، ومنك يستمد التوفيق والهداية .(١)

وبعدُ ، فان اناساً أُولي ايادي راموا ان يقفوا على شيء من اسرار الحكمة ، بالفاظ واضحة الكيفية معتدلة الكمية ، فاسعفتُهم بذلك حسب ما جادت به القريحة ، وساعدت عليه القوة . ولم يأبَ ضعف حالتي تجارتهم ، ولا قلّةُ بضاعتي اتحافهم ، فحصلت هذه التجارة السنية ، والعمدة الفلسفية في اربعة ابواب ، والله الموّفق للصواب .

---

(١) ورد في الاصل السرياني : وفي كور الهيام بك يُمحص اقنوم كل عاقل ناطق ويطهر تطهيراً .

واما النقل العربي ، والاظهر انه لاحد علمائنا من رجال القرن الرابع عشر كالراهب دانيال القسيس الماردیني المعروف بابن الحطاب الذي كان موجوداً سنة ١٣٨٢ م او غيره ممن هو في طبقته ، فلم يرد الا في النسخ التي كتبت في المئة الخامسة عشرة وما بعدها .

وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسختين في خزانتنا احداهما بخطنا كنا انجزناها سنة ١٩٠٦ عن نسخة متوسطة القدم وجدناها بماردين وهي بخط الراهب القسيس عبد الله الماردیني المعروف بالراهب المشلول وقد فرغ منها في دير مار يعقوب الحبيس للكلدان في مدينة سعرت عام ١٩١٩ يونانية (١٦٠٨ م) والثانية بخط اثناسيوس افرم العينوردي اسقف دير العمر (دير قرتمين في طور عبدين) انتهى منها وهو شماس في قريته في اواسط سنة ١٨٧٢ م . فضبطنا النص بمعارضته بالاصل وصححنا فيه اغلاطاً عدة من تصحيف النساخ وسهوهم واضفنا الى الفصول رقم العدد تسهيلاً على القرآء والدارسين . .

وكنا نود لو نشرنا الاصل السرياني والنقل العربي وبحثنا اسلوب المؤلف الجليل رضي الله عنه وطريقته في كتابه هذا وعلقنا عليه من بعض مصنفاته الحكمية المطولة مايزيده ايضاحاً ، سيما وكتبه الممتعة لا تزال سريانية مخطوطة ولكن الظروف الحاضرة لم تسعف رغبتنا فاقتصرنا على نشر الترجمة العربية لفائدة طلبة مدرستنا الكهنوتية خاصة ولطلاب الحكمة عامة . والله سبحانه نسأل ان ينفع به مطالعيه انه اكرم مسئول وكفى به هادياً ومعيناً .

في قلايتنا البطريركية في حمص ١٠ آب سنة ١٩٤٠ م

كتاب حديث الحكمة

تصنيف ابينا ملك العلماء مار غريغوريوس ابن العبري

رضي الله عنه وحرس جمهور المؤمنين بدعائه

وضعه للراغبين في معرفة المذاهب الحكمية والآراء العملية

مقدمة

تعاليتَ اللهمّ فى ازليتكَ ، وتقدستَ من كل ذي روح في أقنوميتك ، جلّت عظمتك من كل عظمة ، وحارت في قدرتك ذوو العقول والحكمة . اهّلنا اللهم لما منك يُزلفنا ، وانقذنا مما عنك يبعدنا ، فانك الغرض والغاية ، ومنك يستمد التوفيق والهداية .(١)

وبعدُ ، فان اناساً أُولي ايادي راموا ان يقفوا على شيء من اسرار الحكمة ، بالفاظ واضحة الكيفية معتدلة الكمية ، فاسعفتُهم بذلك حسب ما جادت به القريحة ، وساعدت عليه القوة . ولم يأبَ ضعف حالتي تجارتهم ، ولا قلّةُ بضاعتي اتحافهم ، فحصلت هذه التجارة السنية ، والعمدة الفلسفية في اربعة ابواب ، والله الموّفق للصواب .

---

(١) ورد في الاصل السرياني : وفي كور الهيام بك يمحص اقنوم كل عاقل ناطق ويطهر تطهيراً .

الباب الاول

فى المنطق

فصل (١)

كل اسم إما ان يدل على تمام مسمّاه ، كاسم الانسان على الحيوان الناطق ، او على جزء منه كاسم الانسان على الحيوان ، او على التابع اللازم الخارجي ، كدلالة الانسان على الكاتب بالقوة . والاول امّا ان يكون من حيث انه اسم واحد ، يدل على معنىً واحد ، كاسم سقراط مثلاً الدال عليه ؛ او يدل على معاني كثيرة ، وتلك المعاني ان كانت مشتركة بالطبع يقال لها المتواطئة ، كالانواع مثل الانسان والفرس المشتركة بالطبيعة الحيوانية ، اي يصدق عليها اسم الحيوان وحدّه . وان كانت مختلفة الطبع ، يقال لها المتفقة اسماؤها ، كالكوكب المشهور ، والمصوَّر في الحائط ، والحيوان النابح ، المشتركة في اسم الكلب فقط . او لا يكون من حيث هو واحد يدلّ على معنى واحد ، مثل الصخر والحجر والصفا الدالة على معنى واحد ، ويقال لها المترادفة ؛ او تدلّ على معاني كثيرة ، كاسم كل واحد من العناصر الدّال عليه ، ويقال لها المتباينة . وكل واحد من هذه يدل جزؤه على جزء مسمّاه ، ويُسمّى قولا ، او لا ، ويسمّى مفرداً ،

والمفرد ، ان يمنع مفهومه من ان يشترك فيه كثيرون ، يقال له الجزئي ، والشخص الغير المتجزىء ؛ وان لم يمنع فهو الكلي ، سواء ان كان تمام ماهية مسماه ، او جزؤها ، او خارجاً عنها تابعاً لها. والاول يقال له النوع ، مثل الانسان . والثاني ان كان من جهة ما هو الشيء ، يقال له الجنس ، كالحيوان ؛ وان كان يحمل من جهة اي شيء هو ، فهو الفصل ، كالناطق ايضاً . والثالث ان حُمل على المختلفين بالطبع ، يقال له العَرَض العام ، كالابيض ، وان حُمل على المتفقين بالطبع ، يقال له الخاصة ، مثل الضاحك . والجنس الذي ليس فوقه جنس ، يقال له جنس الاجناس ، مثل الجوهر ، والنوع الذي ليس تحته نوع يقال له نوع الانواع ، مثل الانسان . والتي في الوسط ، مثل الجسم والحيوان ، فهي بالنسبة الى ما فوقها انواع ، وبالنسبة الى ما تحتها اجناس . والتي ليس فوقها ولا تحتها شيء يقال لها اجناس وانواع بسيطة ، مثل العقل والنقطة .

فصل (٢)

والاجناس العالية التي هي جنس الاجناس ، عددها منحصر في عشرة ، وهي بحسب كلّيتها ، تُوضع في المنطق ، وبحسب طباعها ، تذكر في الفلسفة الاولى . وهي هذه : الجوهر : كالجسم والحيوان والانسان وسقراط . والكَمّ : كالزمان والمكان . وايضاً العدد ، الكيف ، مثل العلوم والالوان والاحوال والاشكال .

والاضافة مثل الابوة والبنوة . والأين : كالكون في المنزل . ومتى : كأمس واليوم وغدا . له : وهو الملك كالمكنسي والملجم . الوضع : كالمستند والجالس . يفعل مثل يقيم . ينفعل : مثل يستقيم .

فصل (٣)

والقول لما كان على خمسة اصناف ، اعني السؤال ، الدعآء الامر ، الطلب ، الجزم ، كان هذا الخامس هو المقصود في المنطق ، اذ به يتم الصدق والكذب ، ويسمى قضية . وحينئذٍ كل قضية لا بد فيها من المحكوم عليه والمحكوم به . وهذان ان كانا مفردين تسمى القضية حملية : مثل قولنا الانسان حيوان ؛ وان كانا مركبين تسمى القضية شرطية . والمحكوم عليه في القضية الحملية يسمى موضوعا ، وفي الشرطية يسمى مقدماً . والمحكوم به في الحملية يسمى محمولاً ؛ وفي الشرطية يسمى تالياً . والشرطية ان كان مقدماً مرتبطاً بالتالي ، يسمى القضية متصلة ، كقولنا ان الشمس طالعة ، فالنهار موجود . وان كان على سبيل الانفصال ، تسمى منفصلة ، كقولنا : هذا العدد اما زوج او فرد . وكل واحدة من هذه القضايا موجبة ، ان كان الحكم ؛ بالوضع وسالبة ، ان كان الحكم بالرفع . والقضايا الحملية ان كان الموضوع بها شخصاً معيناً ، تسمى مخصوصة ؛ وان كان كلياً ، تسمى كلية . وفي الشرطية ، ان كان الحكم في زمان معين ، فهي جزئية ؛ وان لم يكن في زمان معين ، فهي كلية . وكل واحدة منهن ، ان اقترن بها لفظ دال على

الكمية ، تسمى محصورة ومشهورة ؛ وان لم يقترن بها ، تسمى مُهمَلة غير محصورة . والمحصورات اربع : اما في الحمليات فهو : كل ، ليس كل ، بعض ، ليس بعضاً . وفي الشرطيات : كل ما كان ، ليس كل ما كان ، وقد يكون ، لا يكون . وحرف السلب ان كان جزءاً من المحمول ، تسمى القضية معدولة ، كقولنا : الانسان ما هو بحجر ؛ وان كان رافعاً الحكم ، تسمى بسيطة ، كقولنا : الانسان ليس هو بحجر ، وتلك اذاً موجبة ، وهذه سالبة . والشرطية إما لا يمكن اجتماع طرفيها على الصدق ولا على الكذب ، فتسمّى حقيقية ، كقولنا : كل انسان اماً حي واما ميت . ولا يمكن اجتماعهما على الكذب وإن يجتمعان على الصدق ، تسمى مانعة الخلوّ ، كقولنا : اما ان يكون سقراط في البحر واما ان لا يغرق . او لا يمكن ان يصدقا معاً ، ويمكن ان يكذبا معاً ، وتسمى مانعة الجمع ، كقولنا : هذا الجسم اما حجر واما شجر .

فصل (٤)

كل قضيّة لا بد فيها من نسبة ما ، اعني نسبة بين المحكوم عليه والمحكوم به . وتلك النسبة ان صُرّح بها في اللفظ ، تسمى جهة ، والاّ فهي مادة . وتلك النسبة اما ضرورية الوجود ، او ضرورية العدم ، او لا ضرورية الوجود ، ولا ضرورية العدم ، فتكون الجهات حينئذٍ والمواد ايضاً ثلثة : واجب به ، وغير مستطاع ، وهو الذي حكمت بتسميته الممتنع في كتابي :

تجارة التجارات ، وممكن . واما الممكن الذي يصدُق على الواجب ، فهو الممكن العام ، ومعناه ما ليس بممتنع ان يوجد . وظاهر ان هذا يصدق على الواجب كما انه يصدق ايضاً على الممكن الخاص الذي هو احد الثلثة .

فصل (٥)

والتناقض هو التقابل بين قضيتين بالكيفية ، بحيث تكون احداهما صادقة والاخرى كاذبة . والقضية الشخصية ، تتوقف على ثلثة قوانين : واحدة الموضوع ، ويندرج فيها وحدة الشرط والكل والجزء ؛ ووحدة المحمول ، ويندرج فيها وحدة المكان والاضافة والقوة والفعل ؛ ووحدة الزمان . واما القضية الكلية فتحتاج الى مراعاة قانون آخر ، وهو اختلاف الكمية ، لان الكليتين قد يكذبان معاً ؛ والجزئيتين قد يصدقان ، اعني في المادة الممكنة . لكن نقيض قولنا : كل ليس كُلاً ، ونقيض بعض ، وواحد ، ليس ولا واحد . واما القضايا الموجبة ، فنقيضها رفع الجهة فيكون نقيض بالضرورة يكون ، ليس بالضرورة يكون . ونقيض قولنا ممكناً ان يكون ، ليس ممكناً ان يكون . ويلزم بالضرورة لا يكون ، وبالاطلاق يكون نقيضه دايماً يكون ، لان الموضوع بالاطلاق يصدق على الدائم وغير الدائم . وظاهر ان رفع الدائم يناقض القضيتين لانه لا يصدُق ولا مع واحدة منهما .

فصل (٦)

العكس هو تبديل كل واحدة من جزئي القضية بالآخر ، مع حفظ الكيفية والصدق . اما الموجبات فكلية كانت او جزئية ، اذا كانت مطلقة او ضرورية لا ممكنة خاصة ، تنعكس جزئية في الكمّ ، ومطلقة في الكيف ، لانه ان لم تصدق هذه ، صدق نقيضها ، وهو السالبة الكلية الدائمة . وتنعكس كنفسها ، وينتج المُحال وهو اتفاق صدق النقيضين الكبيرين . فان كانت ممكنة خاصة ، فتنعكس جزئية في الكمّ ايضاً وممكنة عامة في الكيف ، والاّ صدق نقيضها ، وهي السالبة الضرورية ، وينتج المُحال المذكور . واما السوالب ، فالجزئية لا تنعكس اصلًا ، لانه المحمول فيها قد يكون اخصّ من الموضوع ، وكذلك الكلية اذا كانت مطلقة او ممكنة خاصة او حِينِيّة لا تنعكس لجواز ان لا يصدق عليها الدوام ، فيمكن ان يصدق النقيضان في بعض الاحيان ، ويمكن ان يكذبا . لكن يصدق : لا شيء من الانسان بكاتب ، في احد هذه الانواع ، ولا يصدق : لا شيء من الكاتب بانسان . اما السوالب اذا كانت كلية او ضرورية او دائمة ، تنعكس كنفسها ، والاّ يلزم سلب الشيء عن نفسه . فاذا صدق لا شيء من الحجر بانسان ، يصدق عكسه : لا شيء من الانسان بحجر ، والا صدق نقيضه : وهو بعض الانسان حجر ، وكان ليس ولا واحد من الحجر بانسان ، ينتج ليس ان كل انسان انساناً ، وهو محال .

فصل (٧)

القياس هو القول المركب من اقوال اذا سُلِّمَت لزم عنها لذاتها قول آخر ، وتسمى نتيجة . وينقسم الى اقتراني ، وهو الذي لا يكون اللازم عنه ولا نقيضه مذكوراً فيه بالفعل . والى استثنائي ، وهو الذي يذكر فيه واحد منهما . والاقتراني حسب اعتبار هيئة تركيبه ، ينقسم الى اربعة اشكال ، لان الحد الاوسط الذي ليس مذكوراً في النتيجة ، ان كان محمولاً في المقدمة الاولى ، موضوعاً في الثانية يسمى الشكل الاول ، وان كان بالعكس فهو الرابع ، وان كان محمولاً في كليتها فيسمى الثاني ، وان كان موضوعاً فيها فهو الثالث . والموضوع في النتيجة يسمى حداً اصغر ، والمقدمة التي هو فيها تسمى صغرى ، والمحمول في النتيجة يسمى حداً اكبر ، والمقدمة التي هو فيها تسمى كبرى ، والمكرر في المقدمتين يسمى حداً اوسط . وتشترك الاشكال الاربعة في شرطين ان لم تُراعَ لا ينتج احدهما ؛ لانه لا قياس ينتج عن جزئيتين ولا عن سالبتين ، كما يقال في الشكل الاول : بعض الانسان حيوان ، وبعض الحيوان فرس ، ولا يقال بعض الانسان فرس ؛ ويقال ايضاً لا شيء من الحجر بانسان ، ولا شيء من الانسان غير متنفس ، ولا يقال لا شيء من الحجر غير متنفس . وعلى هذا القياس في الاشكال الباقية .

الشكل الاول

لهذا الشكل اربعة ضروب بعد مراعاة شرائطه ، وهو ان يكون صغراه موجبة ، وكبراه كلية .

الضرب الاول

كل انسان حيوان ، وكل حيوان جسم ، فكل انسان جسم .

الضرب الثاني

كل انسان ضاحك ، ولا شيء من الضاحك بحجر ، فلا شيء من الانسان بحجر .

الضرب الثالث

بعض الحيوان فرس ، وكل فرس صهّال ، فبعض الحيوان صهّال .

الضرب الرابع

بعض الحيوان طبيب ، ولا واحد من الاطبآء بثور ، فليس كل حيوان ثوراً .

الشكل الثاني

ولهذا الشكل ضروب اربعة اذا روعيت قوانينه ، احدهما

اختلاف مقدمتيه في الكيف ، الثاني ان يكون كبراه كلية ، الثالث ان يكون السالبة المستعملة فيه من التي تنعكس .

الضرب الاول

كل انسان جوهر ، ولا شيء من العرض بجوهر ، فلا شيء من الانسان بعرض . بيانه بعكس الكبرى .

الضرب الثاني

لا شيء من الحجر بشجر ، وكل طرفآء شجر ، فلا شيء من الحجر بطرفآء . بيانه بعكس الصغرى وجعلها كبرى ثم تنعكس .

النتيجة الثالثة

بعض الحيوان انسان ، ولا شيء من الصهّال بانسان ، فليس كل حيوان صهال . بيانه بعكس الكبرى .

الضرب الرابع

ليس كل حيوان انساناً ، وكل ناطق انسان ، فليس كل حيوان ناطقاً . وهذا الضرب لا يتبيّن بالعكس ، بل بالنقل الى الامتناع وهو الخِلف كقولنا ان لم يصدق ما قلنا : ان ليس كل حيوان ناطق ، صدق نقيضه وهو كل حيوان ناطق ، ومعناه الكبرى ، كل ناطق انسان ، ينتج منهما : كل حيوان انسان ، وهو ليس كل حيوان انسانا وهو محال .

الشكل الثالث

ولهذا الشكل ايضاً ستة ضروب اذا رُوعيت شرائطه ، وهي ان تكون الصغرى موجبة واحدى المقدمتين كلية .

الضرب الاول

كل انسان جسم ، وكل انسان ناطق ، فكل جسم ناطق ، بيانه بعكس الصغرى .

الضرب الثاني

كل انسان جوهر ، ولا شيء من الانسان بطائر ، فليس كل جوهر طائراً . بيانه كالذي قبله .

الضرب الثالث

كل انسان جوهر ، وبعض الانسان طبيب ، فبعض الجوهر طبيب . بيانه بعكس الكبرى وجعلها صغرى ، ثم بعكس النتيجة .

الضرب الرابع

بعض الفرس ادهم ، وكل فرس صهّال ، فبعض الادهم صهال . بيانه بعكس الصغرى .

الضرب الخامس

كل ابنوس خشب ، وليس كل ابنوس اسود ، فليس كل

خشب اسود . بيانه بالخلف ، وهو ان لم يصدق قولنا : وليس كل خشب اسود ، صدق نقيضه وهو كل خشب اسود ، ونجعلها كبرى ، ونضمها الى صغرى ، وهذا الضرب ، فنقول كل ابنوس خشب ، وكل خشب اسود ، وينتج كل ابنوس اسود . وقد كان ليس كل ابنوس اسود ، وهو المحال .

الضرب السادس

بعض الفرس ابلق ، ولا شيء من الفرس بطائر ، فليس كل ابلق بطائر . بيانه بعكس الصغرى .

الشكل الرابع

ولهذا الشكل خمسة ضروب ، بعد مراعاة هذه الشرائط ، وهي عدم السالبة الجزئية فيه . وكون الكبرى السالبة كلية ، اذا كانت الصغرى موجبة جزئية .

الضرب الاول

كل انسان حيوان ، وكل ضاحك انسان ، فبعض الحيوان ضاحك . بيانه تبديل المقدمتين ، ثم عكس النتيجة .

الضرب الثاني

كل انسان ضاحك ، وبعض الحيوان انسان ، فبعض الحيوان ضاحك . بيانه كالذي قبله .

الضرب الثالث

كل انسان حيوان ، ولا واحد من الحجر انسان ، ينتج ليس كل حيوان بحجر . بيانه بعكس مقدمتيه .

الضرب الرابع

بعض الانسان مهندس ، ولا شيء من الحجر بانسان ، فلا شيء من المهندس بحجر . بيانه بنسبة ما قبله .

الضرب الخامس

ولا شي من الانسان بحجر ، وكل ناطق انسان ، فلا شيء من الحجر بناطق . بيانه بنسبة ما يتقدمه ، وكما ان تركيب الاشكال في القياس الاقتراني من الحمليات ، كذلك تتركب من الشرطيات فالمقدَّم فيها كالموضوع والثاني كالمحمول .

القياس الاستثنائي (٨)

مركب من قضيتين احداهما شرطية والاخرى استثنائية ، وينقسم الى متصل ومنفصل ، ففي المتصل استثناء عين المقدم ينتج عين الثاني ، واستثناء نقيض التالي نقيض المقدَّم ، مثل ان كان هذا الجوهر فرساً ، فهو حيوان ، لكنه فرس فهو حيوان ، لكنه ليس بحيوان ، فهو ليس بفرس . واستثناء نقيض المقدم لا ينتج ، لانك اذا قلت ليس هو بفرس ، فلا يصدق انه

حيوان ، او ليس بحيوان ، وكذلك استثناء عين التالي لا ينتج ، لانك اذا قلت ، ان كان حيواناً لا يصدق انه فرس ، او ليس بفرس ، وفي المنفصلات الحقيقية : استثناء اي جزء كان منها ، ينتج نقيض الآخر واستثناء نقيض اي جزء كان ينتج عين الآخر ، مثال ذلك هذا العدد : إمّا زوج واما فرد ، لكنه زوج فهو ليس بفرد . لكنه فرد فليس بزوج . وليس بزوج فهو فرد ، وليس بفرد فهو زوج . والمنفصلة المانعة الخلوّ ، استثناء نقيض اي جزئيها كان ينتج عين الآخر ، كقولنا اما ان يكون سقراط في البحر ، واما ان لا يغرق ، لكنه يغرق فهو في البحر . واستثناء عين احد جزئيها لا ينتج ، اعني كونه في البحر لا ينتج انه يغرق او لا يغرق . وكونه ليس يغرق لا ينتج انه في البحر او ليس . والمنفصلة المانعة الجمع : استثناء عين احد جزئيها ، ينتج النقيض الآخر . كقولنا هذا الجسم اما حجر او شجر ، لكنه حجر فليس بشجر ، لكنه شجر فليس بحجر . واستثناء نقيض احد جزئيها لا ينتج ، كقولنا لكنه ليس بحجر ، فلا ينتج انه شجر او ليس بشجر ، لكنه ليس بشجر لا ينتج انه حجر او ليس بحجر .

فصل في البرهان (٩)

واحوال القياسات الصحيحة من جهة تركيبها هي ما سبق ذكرها ، واماً بحسب المواد التي تتركب منها ، فتنقسم الى احد عشر صنفاً بحسب الاغلب . لان المواد ، إما اوّليات ، مثل ان الكل اعظم

من الجزء ، او محسوسات ، كالنار المحرقة ، او مجرّبات ، مثل المغناطيس جاذب الحديد ، او حدسيّات ، كالقمر نوره مستفاد من الشمس ، او متواترات ، كقولنا لا نشك انه كان في العالم شاعر يُدعى اوميروس ، او قضايا قياساتها معها ، كقولنا الاربعة زوج ، او محمودات ، كقولنا الظلم قبيح والعدل حسن ، او وهميات ، كما يُتخيَّل ان ما هو موجود يجب ان يكون في مكان ، وستعرف ماهية الوهم فيما بعد ، او مسلّمات ، كاعترافنا ان العذاب الجسماني موجود ، او مظنونات ، كما نقول ان فلان يدمن التحديق في فلانة فهو يشتهي ان يملكها ، او مشبّهات ، كقولنا يجب ان يُنصَر الاخ ظالماً كان او مظلوماً ، وهذه المقدمة وان لم تكن مشهورة فهي مشبّهة بالمشهورات ، او مخيّلات ، كقولنا ما اكره العسل كانه مِرّةٌ (١) في لونه وقوامه ، وما احسن فلاناً كانه القمر ببهائه . وهذه مواد القياسات ، ولا يتركب من جميعها قياس برهاني ، لكن البرهان يتركب من الست الاول فقط ، وهي الاوّليّات والمشاهَدات والمجرّبات والحدسيات والمتواترات وقضايا قياساتها معها ، ومن يراعي قوانين التركيب واصناف المواد مراعاةً حسنة ، لعله يأمن الزلل ويكون ذلك بصرف غير يسير من العناية والاجتهاد فضلاً عن التأييد السماوي .

---

(١) مِرّةٌ : خلط من اخلاط البدن وهو الصفراء .

الباب الثاني

في العلم الطبيعي المشتمل على تناهي الابعاد وماهية الاجسام السماوية والعنصرية واصناف النفوس .

فصل (١)

لقد توهّم الذين قضوا ان هـذه الاجسام كلها مؤلفة من اجزآء لا تتجزأ ، لانه ولو وجد جزء صغير لا ينقسم بالفعل لصغره ، لكنه يكاد ينقسم وهماً . نفرض جسماً مركباً من ثلثة اجزاء ، فالجزء الاوسط منها ، إن مَنَع اللذين عن الجانبين من المماسة ، انقسم ذلك الجسم ، لان ما يلاقيه من احد الجانبين غير ما يلاقيه من الآخر ، وان لم يَمنع التماسّ ، يلزم تداخل الاجسام بعضها في بعض ، وان كان التداخل غير محال ، لم يجب ان تزيد الاجزآء الواردة على المؤلَّف في مقداره ، وكانت قشرة البيضة الصغيرة تسع الكرة الفلكية بأسرها .

فصل (٢)

ليس يمكن ان يمتد بُعدٌ الى غير النهاية ، وذلك اننا نفرض جسماً يشبه الترس تقسمه ستة خطوط الى اجزآء متساوية ، تخرج

منها الى غير النهاية ، فكلما بعدت رؤوسها من بعضها بعض ، اما يمكن ان يكون بين كل خطّين منها خط غير متناهٍ او لا يمكن ، والاول محال فالثاني حق . لانه كيف يكون غير متناهٍ ما كان منحصراً بين طرفين ؟ وكذلك اذ يلزم ان يتوهَّمَ خطاً متناهياً بين كل رأسين وبتناهيها كلها (بتحديدها) يتناهى العالم (يكون محدوداً) .

فصل (٣)

الجسم المحدّد الامتدادات لا يمكن ان يتحرك بكليته حركة مكانية ، لان هذه الحركة يجب ان تكون نحو جهة ما ، ووراءها ليس جهة ، لانه بها تُحدَّد الجهات ، فلا يستطيع ان يتحرك الى جهة ، وعلى هذا لا يتحرك حركة مكانية اصلاً .

فصل (٤)

الجسم المحدّد الجهات ، يجب ان يكون مستديراً ، لانه متشابه الاجزاء ، وكذلك يجب ان تكون اجزاؤه متساوية الاوضاع ، فان هذا التساوي لا يكون بغير الاستدارة ، لان الاشكال المستقيمة الخطوط تتركب من زوايا مختلفة ، ولما كان بالمحيط يُتحدد غاية القرب ، وبالمركز غاية البعد ، كانت الجهة المائلة الى المحيط هي الفوقانية ، والمائلة الى المركز هي السفلى .

فصل (٥)

الخلآء محال ، اي وجود امتداد في خلاء غير ممكن ، لانه لو كان موجوداً ، كان الخلآء بين الجسمين البعيدين ، اطول من الخلآء بين القريبين . والطول والقصر هي اعراض ، فالبضرورة تقوم بجوهر وحينئذٍ يكون الخلآء جوهراً ، وكيف يكون الجوهر عدماً محضاً . فظهر انه ليس يمكن ان يكون داخل العالم ولا خارجه خلآء .

فصل (٦)

السطح الباطن من الجسم الحاوي المماسّ للسطح الظاهر من الجسم المحويّ يدعى في العُرف مكاناً ، وللمكان خواصّ يتميّز بها عن الموضوع للأعراض ؛ منها انه ليس غير ممكن انتقال الجسم منه الى آخر مع بقائه في ذاته ، فالعالم اذن ليس في مكان لانه غير محويّ في غيره ، لكنه مكان لما هو محويٌّ فيه .

فصل (٧)

الحركة هي هيئة ما غير ثابتة ، وتنقسم الى طبيعية والى

قسرية وارادية ، كحركة المآء الى اسفل والى فوق ، وانتقال الحيوان من مكان الى آخر .

فصل (٨)

الكائنات يلحقها تقدُّم وتأخُّر ، وهي حدود مختلفة ، والحدود لا يمكن ان تقوم بامرٍ غير موجود لكن بموجود وهو الزمان ، ويحدُّ بانه مقدار حركة الفلك ، ويتجزّأ وينقسم الى السنين والشهور والايام والساعات .

فصل (٩)

دوام الوجود في الزمان الماضي يقال له ازلية ، ودوام الزمان في المستقبل ابدية .

فصل (١٠)

المتحرِّك امَّا ان يتحرك على المركز كالافلاك ، او عن المركز ، وتلزمه الحرارة ، او الى المركز ، وتلزمه البرودة ، وكل ما يتحرك عن المركز واليه فحركته مستقيمة ، وهو قابل للانفصال ضرورة ، إما بسهولةٍ ويسمى رطباً او بصعوبة فيسمى يابساً .

فصل (١١)

من هذه الكيفيات هي الامهات الاربع للكون وللفساد : النار التي هي خفيفة على الاطلاق ، حارة يابسة ؛ والهوآء وهو خفيف بالاضافة ، حار رطب؛ والارض وهي ثقيلة على الاطلاق ، باردة يابسة ؛ والمآء وهو ثقيل مضاف بارد رطب .

فصل (١٢)

والفلك لما كان لم يمكن ان يتحرك الحركة المستقيمة ، كان من حقه ان لا يكون خفيفاً ولا ثقيلاً ولا حاراً ولا بارداً ؛ وكذلك ايضاً لا يكون قابلاً للانفصال ، فلا يكون يابساً ولا رطباً .

فصل (١٣)

العناصر محتوية في تجويف فلك القمر ، وهي دائماً تنفعل عنه وعن سائر السماويات ، وتستحيل من كيفية الى اخرى .

فصل (١٤)

الجسم يؤثر في الجسم ، إما بالمقابلة في الوضع ، كاضآءة القمر

المنير لما يقابله ؛ او بالملاقاة ، كتسخين النار لما يقرب منها ؛ او بالمماسة ، كالنار التي تحرق من يمسّها .

فصل (١٥)

اسباب الحرارة ثلاثة ، ملاقاة الجسم الحار ، والشعاع والحركة ، ومن الناس من ظنّ ان الشعاع جسم وغلطوا ، لانه لو لم يكن عرضاً لكان يجب عند دخوله البيت ، اذا سُدّت الكوّة فجأة ان يبقى الضوء في البيت ، وليس كذلك .

فصل (١٦)

ومضمون هذا الكلام يدلّ على استحالة هذه العناصر بعضها الى بعض ؛ فالهوآء الى النار ، باحتكاك الاجسام الصلبة بعضها على بعض ؛ والهوآء الى المآء كالقطرات التي تجتمع على الاجسام الصلبة في الشتآء ؛ والمآء الى الهوآء عند تبخّره الى الحرارة ؛ والمآء الى الارض ، كما نشاهد في بعض الاماكن من تصلّب المآء الجاري على الارض من خاصيّة بها ؛ والارض الى المآء كما يفعلُ اصحاب الكيميآء من تحليل الاجسام الصلبة واذابتها .

فصل (١٧)

انك اذا شاهدت الابخرة في الحمامات متكاثفة في الشتآء ومتبدرقة في الصيف ، فلا تمتنع ان تصدق اذا قيل لك ان الابخرة الصاعـدة من الارض حين تتكاثف من البرودة في الجو تصير سحاباً وتنزل مطراً ؛ واذا اشتدّت البرودة تجمد القطرات النازلة فتصير بَرَداً ؛ وان كان السحاب قبل استحالته الى المطرية يضربه البرد فيشتد وينزل ثلجاً ؛ والادخنة التي تصعد تتولد منها الرياح ؛ والابخرة المخفية بباطن الارض تجري عيوناً ؛ والادخنة المختفية بها تثير النيران والحريق والزلازل ؛ واذا قويت شقّت الأرض وخرجت .

فصل (١٨)

اذا قلنا ان النطفة صارت انساناً ، لا نعني ان النطفة مكثت بحالها ، او بطلت بكليتها ، لكنّا نقول انها خلّفت طبيعة النطفة ولبست صورة الانسانية ؛ وكذلك اذا قلنا الهوآء صار مآءً ونحوه . فالقابل لهذه الطبائع يقال له هيولي ، والطبيعة التي تبطل ويتجدّد غيرها تسمى نوعاً وصورة .

فصل (١٩)

الاسطقسات[١] وما يتكوّن عنها ، لها هيولي واحدة ؛ ولهذا يمكنها ان تقبل اشكالها باسرها ، وهيولي السماويّات ليس كذلك ، ولهذا لا تتشكل بشيء من اشكالها البتة .

فصل (٢٠)

ومن اختلاط هذه العناصر اي امتزاجها تتولّد المواليد الاربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان . وكلما كان المزاج اقرب الى الاعتدال المطلق الذي هو التساوي في البعد من الاطراف كان ذلك المرَكَّب مستحقاً لقبول نوع اشرف اي صورة اكمل .

فصل (٢١)

ولما كان المعتدل الحقيقي غير ممكن ان يوجد ، لان كل مرَكَّب يميل الى مكان بعض الاسطقسات ضرورة ، وذلك المَيْل انما يكون من غلبة ذلك العنصر صاحب المكان عليه ، والاّ يكون ترجيحاً من غير مرجِّح وهو مُحال .

---

(١) يريد العناصر جمع الاسطقس وهي لفظة اعجمية معناها الاصل .

فصل (٢٢)

التركيب العنصري ، ان كان ناقصاً ومائلاً الى البساطة جداً ، تولّد عنه الذوات غير المتنفّسة البعيدة عن الكمالات الصورية جداً . وان كان تاماً وبعيداً من البساطة جداً وقريباً من الاعتدال الحقيقي ، تولد عنه طبيعة الناطقين ، وهو النوع الانساني القابل التعقل الذي هو رأس الكمالات . وان كان وسطاً حسب ميله الى احد جانبي النقص او الكمال ، فيكون ما يتولد عنه كاملاً او عديم الكمال ، فالذي هو مناسب البساطة وقريب من كمال ما ، هو مستعد لقبول التوليد والغذاء والنموّ فقط . وان كان ميله الى الاعتدال كان مستعداً مع ذلك لقبول كمال الادراك والحركة الارادية فضلاً عن هذه الكمالات .

فصل (٢٣)

القوة المولدة هي التي تعزل من الجسم جزءاً يصلح ان يكون مبدئاً لكون شخص آخر من ذلك النوع ، بحيث ينحفظ نوع ما لا يدوم شخصه . والغاذية هي التي تغيّر الغذآء الى مشابهة المغتذي ، ليخلف عوض ما يتحلّل منه ويسدّ مسدّه ، ويخدم هذه القوة اربع قوى وهي الجاذبة الغذآء ، والماسكة المجذوب ، والهاضمة له ، اعني المغيّرة والدافعة الفضلات ، والنامية هي القوة

التي تزيد في اقطار الجسم الثلاثة ، والتناسب الطبيعي . وبهذه القوى يفضّل النبات بكماله على البسائط وعلى الناقصة التركيب.

فصل (٢٤)

الحِسّ كالبصر مثلاً ، لا يمكنه ان يدرك محسوسه الا مع مناسبةٍ ما وضعية . وعند ابتعاد هذه يزوغ عن ذلك الادراك ، واما الخيال فانه يجرد المحسوس من هذه المناسبة ، ولذلك اذا غاب المحسوس تبقى صورته فيه ، لكنه لا يقدر على تجريده من العوارض الآخر ، كالأين والكيف والوضع مطلقاً . فاما العقل فانه يجرّده من جميع هذه حتى انه يجعل المحسوس كانه معقول ، وكذلك يدرك حقيقة المعاني اي جوهريتها المجرّدة من العوارض الغريبة عنها ادراكاً عقلياً ، وهذا العقل ليس قوة جسمانية كما يدل عليه البرهان .

فصل (٢٥)

الصورة الجوهرية التي يدركها العقل ، ان كانت في جسم يجب ان يكون لها وضع خاص ومقدار خاص ، وهذه تمنع ان تشترك فيها جميع الاشخاص بالسوية ، لانه ليس للجميع وضع واحد ، او مقدار واحد ، وان اشترك فيها الجميع بالسوية ليست حالّة في جسم ، لكنها في غير جسم وهو جوهر النفس

الناطقة التي ليست في مكان ولا في ذات ، ولذلك لا يتصور بها ذات ، اي جسم . واليها يشير الشاعر اليوناني اذ يقول ما معناه: لما احاط العقل حجابه حينئذٍ عرفت ذاتي ، ولما نفضت عني الكدر عاينت ذاتي فوق السُهى .

فصل (٢٦)

الانسان محفوظ الهيئة ثابتها كما هي . وان كانت اعضاؤه قابلة التغيّر اي التحلل تغيّراً غير قليل ، فهو غير اعضائه الجسمانية وغير مزاجها ، وكيف لا واحياناً كثيرة يعترف الانسان بذاته من غير ان يخطر بباله شيء من اعضائه .

فصل (٢٧)

انه للحيوان حواس خمس ظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر ؛ وخمس اخرى باطنة وهي : الحسّ المشترك ويدعى فنطاسيا ، والثانية الخيال ، والثالثة الوهم ، والرابعة المتخيّل اذا استعملها الوهم وان استعملها العقل فهي المفكرة ، والخامسة الذاكرة . والحس الباطن الذي هو المشترك يدرك المحسوسات باسرها معاً ، ويقوم بالتمييز بان هذا الحلو هو ذلك الاصفر ، وهذا المرّ ليس ذاك الليّن . وهذا اذا وصلت اليه صورة المحسوسات في النوم او في اليقظة اعني من الفكر او من الاجسام المحسوسة تصير

محسوسة . والخيال هو خزانة هذا الحس الباطن ، لان قوة القبول غير قوة الحفظ فان المآء اذا قبل الصورة لا يحفظها ، واماً الوهم فهو الذي يحكم في الحيوانات على امور محسوسة بمعانٍ غير محسوسة كادراك الشاة صورة البغض من صورة الذئب . ولا يدرك غير معاني الاجسام فقط مع انكاره المدروكات للعقل جميعها . واما القوة المتخيلة فهي التي تركّب وتفصل التماثيل ، وبها تستنبط المهن والصناعات العملية . والذاكرة هي الحافظة للاحكام الوهمية والاشكال الصورية والتخيلية .

فصل (٢٨)

تأمل حكمة العناية كيف رتّبت الحس المشترك والخيال في ناحية الحواس الظاهرة . اعني البطن المقدَّم من الدماغ ، لان من شأنها ادراك ما يؤدّي اليها وحفظه . ورُتِّب الوهم والمتخيلة والمفكّرة في الرتبة الوسطى ، لانها أحرز جداً وأشرف وأنسب بهذه القوى . لان مدركاتها وهي المعاني افضل كثيراً من مدركات تلك وهي الصور المادية . والذاكرة وُضعت في المؤخر لتقبل ما تؤدي اليها وتحفظه .

فصل (٢٩)

وانما اهتدى الناس الى معرفة المكان المختص بكل واحدة

من هذه القوى من الآفات التي تعرض لكل واحدة منها ، اذا اصاب احد هذه الاماكن ألم ، واستدلوا على اختلاف هذه الاماكن بسلامة بعض هذه القوى عند فساد الآخر .

فصل (٣٠)

القوى المتحركة في الحيوان تنقسم الى قسمين : احدهما الباعثة اعني النزوعية وتنقسم الى الشهوانية التي هي الشوق الى الملائم ، والى الغضبية وهي الشوق الى دفع الغريب المنافي . وهذه القوة النزوعية تطيع القوى المدركة . والثانية الفاعلة الحركة وهي القوة المنبعثة من الدماغ بواسطة الاعصاب الى الفتلات[1] ، فتحرك الاعضاء اختياراً وطاعةً للنزوعية .

فصل (٣١)

ان لكافة قوى الحيوان مركبٌ وهو الروح ، وهو جسم لطيف ، والا لما منعته السدد ولا نفذ في المساكن الضيقة ويتولد في الجانب الايسر من القلب ، ويصعد فريق منه الى الدماغ ، ويعتدل ببرودته ويتهذب ويصير روحاً نفسانياً ، ويؤدّي قوى الحس والحركة الى سائر الاعضاء ، وفريق آخر ينبعث الى الكبد ويدعى روحاً طبيعياً ، وبه تتم القوى النباتية والغذائية .

---

(١) الفتلات جمع الفتلة باسكان اللام الثانية وهي شدّة عَصَب الذراع .

فصل (٣٢)

انه لا يتصوَّر للنفس وجود قبل البدن ، لانها لو وجدت ، فاما ان يوجد في ذاتها كثرة او لا ، والاول باطل لان الكثرة ، إما ان تتميز بالفصول او بالعوارض ، وغير جائز ان تكون بالفصول الذاتية والا كانت النفوس مختلفة بالماهيات اي بالذوات ، ولا بحسب العوارض لان العوارض انما تلحق المادة وهي غير مادية . وان لم يكن فيها كثرة فحينئذٍ اما ان تكون هي واحدة ، وتتعلق بابدان كثيرة او تنقسم او تتجزّأ عليها ، والاول غير حق ، والاّ لكان الاشخاص مشتركين في المعرفة لان قوة الادراك في جميعهم واحدة ، والثاني ايضاً باطل ، لان الانقسام الى الاجزآء من خواص الاجسام لا الاشيآء غير الجسمانية .

فصل (٣٣)

فمع وجود المزاجات[١] الانسانية توجد صورها اي نفوسها الناطقة ، وتتعلق بها تعلّق العشق والتدبير[٢] لا تعلّقَ الاختلاط والامتزاج والمشابكة .

---

(١) مزاج يجمع على امزجة على ان مزاجات وردت في كتب ابن سينا .

(٢) التدبير او التدريب والقيادة .

الباب الثالث

الكلام في تحقيق وجود واجب الوجود والصفات الكمالية المنسوبة اليه

فصل (١)

كل موجود فاما واجب الوجود، او ممكن الوجود. والاول الضرورة لازمة لوجوده ، والثاني لا تلزمه ضرورة الوجود ولا ضرورة العدم لذاته، انما يجب وجوده بوجود علّته الفاعلية ويجب ان لا يوجد بعدمها.

فصل (٢)

العلة المطلقة بوجودها يوجد المعلول ضرورة والا ليست علّةً مطلقة له. ومن اجل ذلك كل ممكن الوجود من غير احالة الى علة لا واجب ولا ممتنع.

فصل (٣)

واذا كان وجود المعلول متوقفاً على امور كثيرة كان كل

واحد منها جزء علّة ، ومجموعها علّة تامة ، وتلك الامور مثل آلة او زمان او ارادة او شيء آخر غيرها ، فان بياض الثوب ليس علّة القصّار وحدهِ لكن والزمان ايضاً وارادته ، وهيولي الماء والهوآء ، والآلة التي يقصر بها ، ولو كفى وحده تبييض الثوب لوجب بمجرد وجوده وجود بياض الثوب .

فصل (٤)

العلل اربع فاعلة كالنجار[١] ، ومادية كالخشب ، وصُورية كشكل الكرسي ، ونهائية[٢] كالجلوس عليه .

فصل (٥)

لا يمكن ان يوجد شيئان يكون كل واحد منهما علةً لصاحبه ، لان العلة متقدمة على المعلول . فيلزم ان يكون كل واحد منهما متقدماً على الآخر المتقدم عليه وعلى نفسه ايضاً وهو مُحال .

فصل (٦)

الموجودات باسرها ، اما ان يوجد فيها ما هو واجب الوجود

---

(١) ويقال لها ايضاً العلة المحركة .

(٢) وتسمى ايضاً العلة الغائية .

الوجود فلا يجوز ان يكون له نظير او شريك خارج عنه يماثلهُ ولما كان الكل تحت قدرته وغير مساوٍ له في القوة ، فليس يمكن ان يكون له نظير ولا شريك ولا ضد .

فصل (١٢)

واجب الوجود هو الحق الاول ، لان جميع ما له هو له من ذاته ، ولا من غيره ، و كذلك هو الكريم ، وهو يعطي ويفيد كل ماهية وجودها ، ومن جمالهِ يصل الى كل شيء كمالهُ اللائق به بحسب استعداده .

فصل (١٣)

اصوات الانبيآء صادحة بالقول ان الحق الاول لم يخلق هذا العالم في الازل ، لكنه لما شآء خلقه بعد ان لم يكن . والمتكلمون[١] باجتهادهم يحاولون اثبات هذا الرأي في اذهان العامة فيقولون ، لو كان هذا العالم ازلياً لكانت الخليقة مساوية لخالقها بالزمان وذلك محال . ويقولون ايضاً ، ان كان كل ما خلقه الباري تعالى يجب ان يكون ازلياً لا زمانياً ، لزم ان يكون اليوم الذي هو حاضر الآن مخلوقاً في الازل . و كونه غير ازلي امر ظاهر ، لانه نهاية امس اي تتمته وابتدآء غد .

(١) اصحاب علم الكلام .

فصل (١٤)

المشّاؤون[١] يقولون انّا لم نحكم بالمساواة بين الباري ومخلوقاته، انما الباري متقدم على المخلوقات بالذات لا بالزمان، كتقدم العلة على المعلول لانه لم يخلق جملة الافلاك في زمان، لان الزمان بها يتحدد ويتقوّم، ولو لم تكن هذه الافلاك موجودة، بماذا كنا نتعقّل الزمان؟ واجابوا عن الحجة الاخرى، ان هذا اليوم الآتي هو نهاية الازلية التي لا ابتدآء لها، وبداية الابدية التي لا انتهاء لها. وكذلك جملة هذه الافلاك والعناصر لا ابتدآء لها ولا انتهآء، ولو كان الزمان الذي بينها له بداية ونهاية. ويقولون في مقابلة قول الملحِن[٢] انه لما شآء خلق. ان فاعل المشيئة المجدّدة اما ان يكون هو او غيره وكلاهما محالان، لانه لا يجوز ان يكون من حيث هو فاعل قابلًا، ولا يجوز ان يؤثر الغير فيه فعلًا.

فصل (١٥)

التقدم على اقسام: اما بالزمان او بالمكان او بالنسبة او بالذات، والتقدم بالذات كتقدم حركة الاصبع على حركة الخاتم. وذلك انه وان كانت حركتهما معاً بالسوية واقعة لا يقال تحرك الخاتم

---

(١) المشّاؤون اتباع فلسفة ارسطو سُموا بذلك اخذاً من عادته فقد كان يمشي بين تلاميذه وهو يعلّمهم. (٢) اي المترنّم وهو دارد النبي.

ثم تحركت الاصبع ، لكن تحركت الاصبع ثم تحرك الخاتم ، كذلك تفهم معنى تقدم الباري على الخليقة .

فصل (٦١)

ان اناساً ذوي عقول واهية جَسَروا على التخيّل ، ان كل معلول انما يحتاج الى العلة في ابتداء كونه : فأما بعد كونه ، سواء كان عنده وجود العلة وعدمها . فيوبّخ صاحب هذا التخيل الفاسد ويقال له ، ان ممكن الوجود في ماهيته اي في ذاته مفتقر الى العلّة ، وان لم يكن مفتقراً الى العلة انقلبت الكائنات من الامكان الى الوجوب . والواجبات الى الامكان او الى العدم ، والمعدومات الى الامكان او الى الوجوب وهو محال ، فان عدد الاربعة ، اذا كان موجوداً ولم يجب ان يكون ضعف الاثنين ، يمكن ان توجد الممكنات بدون علة وجودها .

فصل (١٧)

العلة الفاعلة ، قد تكون فاعلة وحافظة مثل الشمس لشعاعها ، وقد تكون ليست من حيث هي فاعلة حافظة ، كما في التمثال الخشبي فان فاعله النجار ليس حافظاً له . انما يحفظه تماسك الاجزاء التي أُتّخِذَ منها وييسها . واذا كان ليس ببعيد ان يكون الفاعل من حيث هو الحافظ فبهذا الوجه يُتعقّل فاعلية الصانع تعالى .

فصل (١٨)

البسيط المطلق لا يمكن ان يكون مبدأ لاثنين ، لان الجهة التي صار بها علة لاحدهما غير الجهة التي صار بها علة الآخر ، وتانك الجهتان اما ان تكونا داخلتين في ماهيته وهو محال ، لانه يؤدي الى تركيبه ، او تكونان لاحقتين له من خارج ، وحينئذ الجهة التي تلحق الماهية ويكون بها الواحد ، يجب ان تكون غير الجهة التي تلحقها ويكون بها الاخر ؛ فالجهتان اما ان تكونا اجزاءه او لاحقتين له من خارج ، ويتسلسل ذلك الى غير النهاية ، فظهر ان البسيط المطلق يكون علة لواحد فقط . وهو الذي تدعوه الكلمة النبوية بالابن والولد والضياء ، وعند الحكماء هو المعلول الاول والعقل الاول . وهذا ليس بجسم لان الجسم لا يخلو عن الكثرة .

فصل (١٩)

المعلول الاول له وجوب الوجود بالنسبة الى الحق الاول ، وامكانه بالنسبة الى ذاته ، وبتضاعف النسب عنده (جهتي الوجود) تحصل الكثرة في ما يصدر عنه في الكائنات ، فبوجوبه يصير علةً لجوهر آخر بسيط اعني عقلاً ، وبامكانه يكون علةً لجسم فلكيّ ، لان الوجوب اشرف جداً من الامكان . ومن هذا ايضاً يوجد عقل آخر وفلك . حتى يتم عدد العقول المجردة عشرة .

عـدا الحق الاول والافلاك تسعة . واليها تشير الانبياء بمراتب الملائكة ، والاجسام السماوية والحكماء يسمونها العقول المفارقة والمبرّأة (المجردة) عن الموادّ .

فصل (٢٠)

لم يكن ممكناً ان يكون لهذا العالم من الكمال خير ممّا حصل له ، لانه لم يوجد شيء مما هو فيه خالياً من منحة العناية ، او عديماً الخير الفائض على كل شيء بحسب استعداده ، والاّ فتأمل صورة الذباب اليست اتمّ جداً من الهيولي التي كُوّنت منها .

فصل (٢١)

الحق الاول وان كان قد اوجد هذا العالم بالوسائط ، فهو موجد الكل مطلقاً ، وبالحقيقة ، لان كل شيء هو منه واليه ، ما كان وما هو كائن وما يكون من غير عكس .

فصل (٢٢)

الجسم المتحرك على الاستدارة ، لا يمكن ان تكون حركته طبيعية ، لان المطلوب بالطبع ، لا يكون مهروباً منه بالطبع ، فان كل نقطة يقصدها الفلك اذا وصل اليها يتركها ويطلب اخرى ،

فيبقى ان تكون حركته ارادية وفكرية ، ولا يجوز ان تكون قسرية ، فانه حيث لا طبع لا يدخل القسر ايضاً .

فصل (٢٣)

كل شيء يتحرك بالارادة ، فمن الضرورة ان تكون حركته لاجل شيء ، وهو الذي به يُرجّح وجود الحركة على عدمها .

فصل (٢٤)

غاية الحركة الفلكية ليست لامر جزئي اعني شخصي ، والا لكان يجب سكونها اذا وصلت اليه . فبقي اذاً ان تكون لامر كلّي او عقلي اي ناطق ، لا حيواني منقسم الى شهوة او غضب ، اعني جاذباً للموافق ، او دافعاً للمؤذي .

فصل (٢٥)

الاجسام العالية الفلكية ، لما كانت ارقى جداً من اجسامنا وجب ان تكون نفوسها ايضاً اشرف من نفوسنا واعلى ، واذا كنا نحن الاشقياء مع تقيّدنا بالآلة المعدّة لتحصيل الشهوات البدنية المحذورة وانقيادنا لها ، اذا صفّينا افكارنا وهذّبنا عقولنا ، وجعلنا لنا نظراً الى الملكوت السماوية الباقية ، فانا لا محالة نستنير بالانوار التي

تشرق علينا ونلتذ لذةً لم تراها عين ولا سمعتها اذن ابداً ، فكم بالحري الانفس الفلكية التي لم تشتغل بشيء من هذه الامور ان تستنير بالنور الالهي ، فهذا هو الذي يحثها على الحركة المتصلة الدائمة ، لانها لذه لا تُمَلّ ولا تُسأَم كما يشهد بها جمهور اولياء الله الذين عاينوها وجرّبوها بذاتهم تجريباً .

فصل (٢٦)

ومقصود كل واحدة من النفوس الفلكية ليس يجب ان يكون واحداً والاّ لما اختلفت حركاتها ، فاذاً يجب ان يكون لكل واحدة منها محبوب خاصّ فوقها ، تروم التشبُّه به ، فان كل حركة هي سبب لضياء جديد ، وكل ضياء يستدعي حركة اخرى ، وهكذا ابداً الحركات تتبع الاضواء ، والاضواء تلزم الحركات .

فصل (٢٧)

المحبوب اعني المعشوق لكل واحد من النفوس الفلكية ، يجب ان يكون عقلاً مجرداً ، ولمّا كانت الكائنات مختلفة بماهيّاتها ، اختلفت بحسب الجهات حركاتها ، ولما كان معشوقها ومنتهى غايتها واحداً ، وهو نور الانوار الحق الاول تقدس وتعالى ، اشتركت في الحركة الدورية اشتراكاً جنسياً .

فصل (٢٨)

جميع ما للافلاك من الكمالات يجب ان يكون حاصلاً لها بالفعل ما عدا الاوضاع ، ولما لم يمكن ان تخرج اوضاعها من القوة الى الفعل دفعة بل في دفعات كثيرة ، كما في اشخاص الانواع حيث لم يمكن ان توجد جميعها دفعة واحدة بل في دفعات على النوعية او صورتها على التعاقب ، فكذلك الانواع تحفظ ابداً بلا فساد .

فصل (٢٩)

كما ان النفس حين تنفعل من شروق ملكوتي ، تؤدي الى تحريك البدن حركة ما ، كالرقص والتصفيق ، او كحركة الصلوة من الركوع والسجود وتمريغ الخدود ، او حركات في الاعضآء من التحلل والذوبان الذي يلحقها بسبب صوم الدهر ، وتلك الحركات كلما اشتدّت ، صارت اسباباً لزيادة النور . ان كانت الآلة المزاجية كافية لذلك . كذلك الحركات الفلكية تَصَوَّرْ منها انها علّة الزيادة للنور والبهاء . ولما كانت اجسامها في الاصل اشرف من اجسامنا ، اي غير قابلة الفساد دامت حركاتها مستمدة الاضوآء بلا نهاية .

فصل (٣٠)

اذا ابتدأ شيء في الكون ، فالضرورة تقضي ان تتكون اولاً علته المكوِّنة له . لان المعلول الحادث لا يتكوَّن عن علة ازلية ، فالكائنات الحادثة في العالم العنصري يجب ان تتصور عللها . الحركات الفلكية المتجددة على التعاقب ، لانها حركات دائمة ابدية تتجدد وتتصرَّم ، لاجل ذلك كانت معلولاتها مثلها .

فصل (٣١)

النفوس السماوية لها ارادة كلية غير متغيِّرة . وهذه الارادة ، هي علة الحركة الدائمة التي لا تتغير بحسب (نظراً الى) تشابه ذلك الغرض (المقصد) الذي لا يتغيَّر . ولما كانت هذه الارادة الكلية لا يمكن ان تخرج الى الفعل ، من غير ارادة جزئية (خاصة) تنبعث منها ، كانت علة لارادة خاصة وتلك الارادة الخاصة علةً للحركة الخاصة التي هي من نقطة الى نقطة ومن وضع الى وضع .

فصل (٣٢)

العقول المجرّدة هي غير مختلفة وغير متغيرة ، لان تغيّرها يؤدّي الى تغير واجب الوجود وهو مُحال .

فصل (٣٣)

التأثيرات المختلفة الخاصة المتجددة في العالم العنصري انما تعرض من الكائنات اي الحركات التي لا تتغيّر ، وذلك بحسب استعدادات القوابل ، لا لامر آخر ، اعني مثل تجدد ارادة او غيرها . وكيف لا ، وترى الشمس واحدة في فعلها تبيّض ثوب القصار وتسوّد وجهه . وهذا هو السر ان الاشراق الواحد يكون لقوم ناراً ولآخرين نوراً .

فصل (٣٤)

العقل المفارق هو محرِّك غير متحرّك ، لان تحريكه بداعية العشق . فان المحبوب يحرّك محبه الى حيث هو موجود ولو كان ساكناً . واذا كان هذا الامر غير عجيب في قريتنا الايريحاوية[١] فكم بالحري الاّ يستغرب في اورشليم العُليا .

---

(١) الايريحاوية نسبة الى ايريحا وهي رمز الى عالمنا على ما فسر آباء الكنيسة (المثل الانجيلي لوقا ص ١٠ : ع ٣٠) واما المترجم الفرنسي جانسن فقد اخطأ في فهم العبارة وترجم لفظة قريتنا : بالضرب بالبوق Sonnerie de Trompette توهماً بفتح مدينة ايريحا .

الباب الرابع

في الكلام على نظام العالم والقضآء وحالة الانفس وبقائها والسعادة والعذاب واللذة الروحانية والآيات والنبوات والقيامة (١)

فصل (١)

لما قضت عناية البارى، تعالى بوجود جوهر ما ، ذي قوة فاعلة الى ما لا نهاية له ، وهو المدعو بالعقل ، كذلك قضت بوجود جوهر ذي قوة قابلة الانفعال غير متناهية(٢) وهو المسمى بالهيولى. وهذا الانفعال لا يؤدي الى الفساد ، لكن لقبول الكمالات بحسب استعدادات الحوادث التي تحدثها الحركات السموية الفائضة من العُلى . وهكذا ينفتح باب البركات وتفيض المِنَح والخيرات من المعين الذي لا ينفد . وتلك المِنح الفائضة هي التي تعرفها لغة

---

(١) اعلم اننا لما عارضنا هذا الباب بالاصل السرياني لم نرضَ نقله لما تخلله من لحن وترجمة ضعيفة وتحريف للمعنى الاصلي فضلًا عن كثرة التصحيف فنقلنا معظمه بقلمنا واصلحنا الباقي .

(٢) يريد بقوله « ما لا نهاية له وغير متناهٍ » ثباته في القابلية التي خولّه اياها الخالق سبحانه حتى انقضاء العالم الكوني . فلا يفهم منه معنى « السرمدي » الذي لا ينتهي الى الابد .

الفلسفة وتنعتها بالصور والانواع . ومن ثم فبحسب كمال ذلك الاستعداد وتوفّره والصورة ، يُمنح الكمال للكائن الناطق او الحيواني ، او النباتي ، او غير المتنفّس او ما عداه ، وهكذا يجري الفضل الآلهي بدون فتور ولا انقطاع .

فصل (٢)

العالم العنصري خاضع خضوعاً تاماً للعالم السموي . وكيف لا ، واصغر الكواكب الثابتة اكبر من الارض بكلّيّتها باضعاف كثيرة ، كما تعلمنا الدراسة الرياضية . وعليه كما ان البدن يخضع للنفس وكذلك النفس تخضع للعقل ، والعقل لما هو فوقه ، حتى تنتهي سلسلة العقول المفارقة ، الى النور الساطع الفائق على الانوار قاطبة وهو الحق الاول ، هكذا يخضع الكلُّ للعلي الاعلى ويقف عنده . فاذاً العلي الاعلى لا يخضع لشيء يكون أعلى منه (من الكائن الاعلى) لكن الكل يخضع له خضوعاً ، بوساطة معلوله الاول الذي يُخضع له الكلّ ، وهو الصالح المعبود والمساوي له في الوجود والفاعلية ، ويكون الكلّ به وهو في الكلّ .

فصل (٣)

اعلم ان الشرّ ليس امراً وجودياً ، لكنه عدم الخير فقط ، فالوجود مطلقاً هو خير ما ، ما لم يؤدِّ الى عَدَم ، مثل هلاك

شخص ما ، او انحراف مزاجه الخاص ، او انحلال تركيبه . ولما كان العدم ليس من الامور الوجودية ، فلا يصدر عن فاعل بالطبع ، لكن ربما يكون بطريق العَرَض .

فصل (٤)

فالخير اذاً ، غالب للشرّ في ذوات العالم الموجود لان هذه مبرّأة من الشرور مطلقاً ، مثل سائر الكائنات السموية . ومن الكائنات ما يكون الخير فيها غالباً للشر كالكائنات العنصرية . ولما كان دفع الخير الكثير لاجل ما يلحقه من الشر القليل ، ليس من خواصّ الخير ، وجب ان يوجد في العالم العنصري شرور قليلة .

فصل (٥)

ولعلّ قائلًا يقول : وكيف تكون الشرور (عندك) قليلة ، وها ان العالم يموج بالآفات من المذابح والسبي والفسوق والطوفانات والحرائق ؟ فنقول لهذا القائل : لو ميزت واحدقت بعين عقلك التي لا يغشاها القذى حائلًا بينها دون النظر الى العدالة ، لرأيت ان هذه الشرور قليلة جداً بالقياس الى خير واحد ، اظنه يترآءى لك صغيراً قليلًا ، واعني به قوام يوم واحد في العالم .

فصل (٦)

فان زاد في الحِجاج والاعتراض قائلًا : ولماذا لم تَخلُ الخليقة من هذا النوع القليل من الشر ايضاً ، ألعلّ الباري غير كفوء لذلك . فنقول له : ان هذا السؤال سخيف جداً فلا يستحق جوابا ، لانه في ضمنه اي في قوته كقول من يقول : لماذا لم يكن المرّيخ مرّيخاً او النار ناراً او المآء مآء ؟

والشرور التي عدّدها يجب ان تستند الى احد هذه العناصر . وعليه كيف يمكن ان تكون النار بهذه الحرارة بحيث تقاوم هذه البرودة المائية فيتقوم منها عالم التركيب ، ولا تحرق (مثلاً) ثوب يتيم اذا تلاقَتْه ؟ وكذلك المآء الذي له من شدة البرودة والرطوبة ، بحيث يستطيع مقاومة حرارة النار ويبوستها ، ولا يهدم هدماً بيت ارملة اذا اشتدت سيوله ؟

فصل (٧)

الحق الاول ، لا يفعل شيئاً لاجل شيء ، لانه اذا استوى عنده وجود ذلك الشيء وعدمُهُ فكيف يفعله ؟ وان لم يستويا لكن يترجّح وجوده على عَدمه يوجد ناقصاً وهو مُحال . لان الحق الاول كاملٌ في كل شيء كما بيناً اعلاه .

فصل (٨)

ولعل قائلاً يقول : ان المنفعة بوجود ما يُحدَث جديداً ، ليست للخالق الصانع ، لكنها لسائر المصنوعات ، فنقول له : ان منفعة كافة المصنوعات بالقياس الى الخالق نفسه ، هل انها منفعة او ليست منفعة ؟ فان كانت منفعة ، يوجد الباري ناقصاً قبل إتمام المنفعة لهذه المخلوقات . وان كانت ليست بمنفعة عنده ، فكيف فعلها ؟ او كيف يمكن ان نقول ايضاً ، انه لا يلزمه إتمام المنفعة لسائر المصنوعات .

فصل (٩)

الجواد المطلق هو الذي يعطي من غير ان يتوقّع له عِوَضاً ، فان الذي يعطي لاجل حمد ، او ليغفر له ذنب ، او يحصل له نعيم في الحياة الاخروية ، ليس بجواد لكنه تاجر مكتسب او صيرفي مستفيد .

فصل (١٠)

اذا ما أضرّ (عمي) شيخ ، او اختنق طفل ، او انهتكت خَفِرة[1]

(١) الخفِرة : الجارية الشديدة الحياء .

لم يكن ذلك عن تَخلّي العنـاية الربانية منهم او منع اعتنائها عنهم حتى دخلت عليهم هذه العوارض . وانما تلك الامور لازمة تابعة لاعراض اخرى لا بد من وقوعها ، كما سبق بيانه اعلاه وهذا هو سرّ القضآء .

فصل (١١)

ولعل قائلاً يقول : اذا كان كل شيء بالقضآء والقَدَر ، لماذا يُعاقب المجرمون ولم يكن اجرامهم بارادتهم . وانما كان ذلك مقضِيّاً به عليهم ؟ فنقول له : ليس الحق الاول تعالى يؤاخذهم بذلك على سبيل الانتقام فيعاقبهم ، حاشا وكلاّ . وانما العادات الرديّة التي كسبوا وتمكنت في انفسهم وصارت مَلَكَةً لهم هي التي تعذّبهم . شأنهم في ذلك شأن المريض الذي يسيء تدبير نفسه ، فيتضاعف ألمه . وهذا هو تأويل ما قيل « ان كل انسان ناره من نفسه » (١)

فصل (١٢)

لقد بان لك جلياً مما سلف ، ان النفس ليست شديدة الانطباع والامتزاج مع البدن ، مثل القوى الجسمانية ، لكنها

---

(١) ورد هذا في بعض ميامر القديس يعقوب السروجي معلم الكنيسة المتوفى سنة ٥٢١ م .

متعلقة بالمزاج التركيبي مرتبطة به ، ارتباط العشق والتدبير . ومن ثم فيزول البدن ولا تزول هي بزواله ، لكنها باقية الى الابد (خالدة) ببقاء العقل الذي هو علّتها ومنيرها ومحبوبها الذي تشتاق هي الى التشبه به .

فصل (١٣)

فاماً ان تنتقل نفس من بدن الى آخر (اي تتقمّص وتتناسخ) فليس يمكن ذلك ، لانها اذا انتقلت الى بدن من جنس ما كانت فيه ، انساناً كان او حيواناً او نباتاً ، وُجد لبدنٍ واحد نفسان ، وذلك مُحال — واذا انتقلت الى جسم غير ذي نفس ، كان الغير الصالح لقبول النفس ، صالحاً لقبولها ، وذلك اشدّ استحالة .

فصل (١٤)

ان قوماً غلاظ الاذهان والافهام ، ظنوا ان لا لذة غير لذة الحواسّ الجسمانية ، فضلّوا . وقد فاتهم ان لذة الملائكة بجوار النور الازلي ومحفلهِ ، اعظم كمالاً من لذة البهائم بمآكلها ومشاربها وتسافدها ، بل لا نسبة لاحداها الى الاخرى .

فصل (١٥)

اللذّة هي ادراك الكمال الملائم للمُدرِك ، ان لم يكن له

مضادّ او مانع . والالم هو ادراك الضرر (الاذى) الذي يمكن ان يعرض للمُدرك ، ان لم يكن له مضادّ او مانع ايضاً . وكما ان لكلِّ حاسيةٍ كمالاً يليق بها ، اعني المنظورات الجميلة البهية للبصر ، والمسموعات (الاصوات) الرخيمة الشجية للسمع ، وكذلك يوجد للآفات التي يمكن ان تعرض لها . فهكذا الجوهر العاقل منّا ، اعني النفس الناطقة ، لها كمال خاص بها لائق بجوهرها . وهو انتقاشها بالعقول المجرّدة (عن المادة) وبالحق الاول تقدّس وتعالى . وبها وبواسطتها تدرك سائر الموجودات على ما هي عليه . وكذلك الآفات لها ما يعرض لها ، اعني عدم الكمالات التي تقوم بوجودها ، لذّتها وسعادتها ، وبعدمها يكون ألمها وشقاوتها .

وبما ان القوى الجسمانية ، اعني الحواسّ الجسدية ، هي اضداد مانعة من ادراك اللذات العقلية ، فما دامت القوى موجودة ، وكلما اشتدّت ، ضعفت ونقصت هذه اللذات ، حتى يكاد يُظن ان ليس لها وجود البتة ، هكذا يكون ما دام غَمام البدن المظلم المتكاثف حاجباً لها . فاذا تخلخل وانقشع ، حينئذٍ يدرك الكاملون تلك اللذة ويستشعر الناقصون العذاب[1] ويثبت قولنا هذا حالة المريض الذي يكره الحلو ، لغلبة المِرّة الصفراء على آلة مذاقة ، المضادّة له . ولذّة الابرص بحك اعضائه ، بسبب الموادّ الردية المانعة لحاسية اللمس ، عن ادراك ألم الحكّ والجذب .

---

(١) جمع كامل وناقص على ما جاء في المعاجم : كَمَلَة ونُقَّص بتشديد القاف . وورد فيها كاملون وناقصون : في كتب ابن سينا وهو هو ثقة وحجة .

فصل (١٦)

ان الغارقين في بحر الشهوات ، فاقدون ادراك اللذات العقلية والعذابات العقلية . لكونهم قطّ لم يذوقوها ولم يجربوها بانفسهم ابداً . ويشقّ عليهم الاقتناع والتصديق بها ، ومثلهم في هذا مثلُ الصبي الصغير الذي لم يذق لذّة الرئاسة ، فلذلك لا يميل ابداً الى التصديق بوجود لذّة اشهى من العسل واطيب من اللعب .

فصل (١٧)

ان كمالَ الحق الاول أتمُّ من كل الكمالات ، وإدراكه لِذاتِهِ ، افضلُ ادراكاً من سائر الادراكات . فلذّته اعني اغتباطُه بذاته ، تفوق على سائر اللذّات . فانه عاشق لذاته ، ومعشوق من ذاته[1] ومن غيره . ومن اجل ذلك كلّما اشتدّ وقوي ادراكه لغيره ، اشتد شوقه اليه وعشقه اياه ، سواء كان ذلك عقلاً او نفساً ناطقة ، كلاً بحسب قربه منه ونسبته اليه .

---

(١) قال ابن سينا في كتاب النجاة ص ٤٠١ ليس عندنا أسامٍ غير هذه الاسامي ، فمن استشنعها استعمل غيرها .

فصل (١٨)

الجهل إمّا بسيط ، وهو عدم المعرفة المطلقة ، واما مركّب ، وهو مع عدم العلم ، وجود معرفة مضادّة له ، فالجهال بالجهل المركّب ، مرصَدون للعذاب الذي يسميه الروح (الآلهي) حيناً ، عذاباً مؤبداً على سبيل الإرهاب (١).

---

(١) اعلم ان المؤلف الجليل يريد بالجهل هنا الخطيّة . وذلك اولاً لما جاء في الانجيل المقدس من تشبيه الابرار بالعذارى الحكيمات والخطأة بالعذارى الجاهلات (متى ص ٢٥) وثانياً تبعاً للاصطلاح الفلسفي الذي قال به ابن سينا « ان المعرفة المطلقة التي هي عبارة عن خضوع العقل العملي للعقل النظري انما هي طريقة الفضيلة وان الجهل هو الخطية . فضلاً عن ان لفظة الجهل باللغة السريانية معجلا تفيد معنى الجهل والذنب والخطأ — وقوله ان الروح الآلهي يسمي العذاب مؤبداً على سبيل الارهاب . اراد به ان روح الله ملهم كتّاب الوحي الشريف قصد بهذا اللفظ المؤبد زيادة الارهاب والتخويف . ولا يُفهم منه ان للعذاب الابدي نهاية كما زعم جانسن الذي اساء فهم كلمة (الروح) فترجمها بالرمز والمثل غلطاً فاضحاً ، يعني ان العذاب سمّي ابدياً على طريقة الرمز والمثل لا على طريقة الحقيقة . لان المؤلف العلامة المتبحر اثابه الله قد اثبت في كتابه : منارة الاقداس (الركن الحادي عشر — الباب الثاني الفصل ٢ و ٤) ابدية النعيم والعذاب الاخرويين معززاً هذه العقيدة بالبراهين العقلية والشواهد النقلية طبقاً لتعليم الكنيسة المقدسة الراهن الصريح ، مفنّداً البدعة القائلة بنهاية العذاب — وقوله : حيناً : اراد به ان الكتب المقدسة حيناً تذكر العذاب على سبيل الاطلاق وحيناً تنعته بالابدي . فافهم هذا جيداً ولا يخالجنك فيه ادنى ريب .

فصل (١٩)

الكامل في العلوم النظرية ، المستغرق في حمأة الشهوات الجسدية ، يتضاعف عذابه في ذلك العالم ، لانه متحسر على ما فاته من الشهوات ، ومتألم من فقد النعيم العقلي ، الذي لم يمكنه الوصول اليه . واما الساذج فيتألم لفقد الشهوات التي فاتته من هذا العالم فقط ، لانه لعدم ادراكه جلالة الامر الذي عُدِمَهُ ، لا يتأسف عليه . وهذا هو تأويل ما قيل : « ان من لا يَعلم يُضرب يسيراً » (١).

فصل (٢٠)

الكامل المعرفة المائل الى شهوة الجسد ، لا يطول غمُّهُ وشقاؤه ، لانه مشتاق الى الاستنارة والاستبصار ، واما الغبيّ الذي لا يعرف الاستنارة فلا يتأهب لها ، ولا شك ولا مرآء ، ان ان الكمالات تَبَعٌ للقابليات والاستعدادات .

فصل (٢١)

النفوس الناطقة لا يتمايز بعضها عن بعض بالذات ، بعد الموت ،

---

(١) انجيل لوقا ص ١٢ ع ٤٨ .

والاّ كانت نفوس الاشخاص مختلفةً في الجوهر ، لكنها تتمايز بخواصّ تكتسبها من امزجة هيا كلها . وتتميز عن الحق الاول وعن العقول في حقيقة طبعها ، مثل تميّز النار من الهوآء عندنا ، ولو اشتركا في الجسمية معاً .

فصل (٢٢)

النفس الناطقة وسائر العقول ، لا يمكن ان تكون منحصرةً لا في السمآء ولا في الارض ، لان المنحصر في مكان هو الجسم فقط . فان الحائط مثلاً لا يقال فيه انه والد ولا عقيم . وكذلك القَدَم لا يقال فيها : بصيرة ولا عميآء . وعلى هذا الوجه يقال ، ان كل معقول ليس داخل العالم ولا خارجَه .

فصل (٢٣)

ان معقولات النفس الناطقة ، موجودة لها بالقوة منذ ابتدآء كونها ، فيصحّ اولاً بالفعل ، الاوّليات من المعارف اعني الضروريات . ثم بواسطتها ، المعارف الثواني المحصّلة اعني الاكتسابية . ولما كان كل ما هو بالقوة لا يمكن ان يخرج الى الفعل من تلقآء نفسه ، لانه لا يمكن ان يكون مؤثراً في ذاته ، فيكون فاعلاً وقابلاً معاً : لزم ان يكون الذي يُخرج الاشياء من القوة الى الفعل ، ما تسميه اللغة الفلسفية ، العقل الفاعل مدبر دائرة القمر

وهذا العالم ، ويدعوه النصّ النبوي الروح القدس . وهذا المشار اليه ، نسبته الى نفوسنا نسبة نور الشمس الى ابصارنا . فكما ان كل عين يمكنها ان تستنير منه اعني من نور الشمس بحسب استعدادها ، كذلك كل نفس بحسب استعدادها تستمد الضياء من ذلك (الروح) اذ لا شحّ ولا منعَ عنده باي وجه كان . وهكذا كل موهبة صالحة وكل منحة كاملة تهبط من فوق من لدن ابي الانوار »(١) .

فصل (٢٤)

لا شك ان النفوس الناطقة هي من العالم الملكوتي . ولولا شواغل البدن المختلفة المانعة لها ، لانتقشت بصور النفوس الفلكية التي تعرف تماماً كل الامور ، ما كان منها وما يكون . لان كل ما حَدَث ويحدث جديداً ، تابع لحركاتها ولازم لها . ومن اجل هذا اذا خلصت النفوس من اغلال الاربطة حيناً ، اما في النوم او اليَقَظة ، فانها تنتقش فيها المعاني بلا مانع ، كالمرايا المصقولة ، فتصير مدرَكة عندها . ولما كانت القوة المتخيلة ، تحاكي الاشياء المعقولة دائماً وتجسّمها تجسيماً وتمثّلها بالصور المحسوسة ، افتقرت الاحلام والرّؤى الى تعبير وتأويل . فاذا سرت الى الخيال هذه الاشكال التي مثلتها المخيلة وانطبعت فيها ، ثم انتقلت منها الى الحسّ المشترك ، صارت كأنها مدرَكة من خارج بالحواس الظاهرة

(١) رسالة مار يعقوب الوسول ص ١ ع ١٧ .

مسموعة كانت تلك الصور او مشمومةً او مطعومةً او ملموسة.

فصل (٢٥)

وقد يتفق للممرورين والمصروعين والمصابين في رؤوس الاهلّة، وكذلك الصبيان غير البالغين، ان تضعف خاصةً حواسهم، من دوران سريع مُسرفٍ بغير قصْد معتدل. او من نظرٍ الى اشياء مدهشة للبصر، فتتطلع نفوسهم عاجلًا على المغيّبات من اسرار العالم الروحاني. فيُنذرون بالمزمَعات (الاحداث المستقبلة) واشياء اخرى مما مرّ بهم سالفاً[1] ولاجل ذلك كان الكهان والعرّافون، يتخذون غالباً الصبيان والعذارى في محل الكهانة.

فصل (٢٦)

ان الآيات والغرائب تنبعث في العالم الطبيعي من احد مبادئ ثلاثة: وهي الافكار النفسانية[2] او خواص الاجسام العنصرية، او بعض القوى السماوية، مما يكون بينها وبينه الامزجة الارضية او بين النفوس الارضية نسبة مخصوصة. وذلك بوضع ما، او ان من يأكل يكون لها هيئة خاصة. والاول كتضرّس الاسنان عند ملاقاة الحامض. والثاني كجذب المغناطيس للحديد. والثالث كالطلّسمات.

---

(١) في نسخة: واشياء اخر تظهر لهم.

(٢) يقال في النسبة الى النفس نفسي ونفساني وهذه وقعت في كلام ابن سينا.

فصل (٢٧)

كما ان النفوس كلها متساوية في الجوهر اي في الذوات . فكذلك يكون بدن انساني مساوياً لابدان انسانية اخرى ، واجسام أُخرى في هيولياتها اي في موادها . وعليه فكما ان النفس تؤثر في بدنها الخاصّ بواسطة فكر ما ، حرارة او برودة ، او رطوبة عَرَقية او يبوسة . او تُخمد حدّة قوى حيوانية تختصّ ببدنها ، فكذلك يمكن ان تؤثر في بدن آخر او جسم آخر مشارك لبدنها في الهيولى ، وتفعل فيه فعلًا مناسباً لفعلها في بدنها . بما ان طبيعة الهيولى العامة منفعلة من العقول او النفوس ، وخاضعة لها مثلما سبق بيانه . وكل واحدة من النفوس يكون فعلها في بدنها خاصة ، اشدّ ظهوراً من اجل ضرورة انتسابها الخاص اليه ومساواتها في الوجود له .

فصل (٢٨)

فلا تسارع انت الى الإكفار والانكار ، اذا ما سمعت ان عارفاً (بالله)(١) أثّر في الجوّ رطوبة او يبوسة ، اعني انه احدر

(١) لقد وهم جانسن بترجمة هذه اللفظة بـ qui s'y connait العارف بنفسه — وانما العارف بالله وهو الذي بعد توغله في طريقة النسك وعبادة الله سبحانه « ينصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره » على حدّ تعبير ابن سينا في كتابه الاشارات والتنبيهات النمط التاسع التنبيه الثاني — واقرب لفظة تعبر عنه بالفرنسية هي anachorète mystique .

مطراً او حبسه ، او سكّن وحشية ما من اسد او غيره من الوحوش الضارية فانك لتجد في عالم الطبيعة شاهداً على ذلك .

فصل (٢٩)

الانسان الواحد بمفرده ، يعجز عن القيام بنفسه بمصالحه وحاجاته من غير معاونة غيره ، ولهذا دعت الضرورة الى الاخذ والعطآء والمعاملة بين الاشخاص . وهذه انما تتم على افضل وجه بمقتضى الشرع . والشرع لا يُقبل الاّ ممن تجري على يديه آيات تدلّ على ان ما يسنه ويشرعهُ وجوباً ، هو من عند ربه . فوجب في اهتمام العناية الربانية ان تظهر في كل عصر شخصاً تكون هذه صفته ، افتقاداً لجبلتها البشرية ، فيُبعث الى هذا العالم رسولاً . ويَعد حافظي هذه النواميس الشرعية بخيرات الدارين ، ويُنذر المخالفين لها بالعذاب هاهنا وهنالك .

فصل (٣٠)

واما امر قيامة الاجساد التي ننتظرها ونتوقعها نحن معشر اهل الايمان ، فقد اوضحناه في كتابينا البيعيين اعني كتاب منارة الاقداس والمختصر الموسوم بكتاب الاشعة ، ايضاحاً شافياً ، ببراهينه العقلية وشواهده النقلية ، وانما نذكر هنا امر قيامة

النفوس على مذهب الفلاسفة[١] بطريقة الايجاز فنقول :

ان تحرير النفس الانسانية وخلاصها من قيود البدن يدعى قيامةً لانه فيها ، تنفطر السموات اعني بطون الدِّماغ . وتنتثر الكواكب اي الحواس ، وتظلم الشمس اي القلب — وتضطرب الارض — الجسد — وتسقط الجبال — الاعضآء القوية — وتفسد الحيوانات — الغضب والشهوة — ويقوم كل انسان باعماله ، اعني النفس الناطقة بما كسبته من كمالاتها بقوتيها النظرية والعملية[٢].

واذا ما ذَكَرتْ ذلك المقام المفزع الرهيب ، نادت من القرار ، واهبَ الوجود ومانح الجود ينبوع البركات ، وغاية المتحرّكات ، نور الانوار التي تتلألأ حسناً وبهآء ، وترفع طرْفها اليه اعني الى خاصتها الاولى اي عقلها قائلة :

أهدِني بنورك ، شوّقني الى جمالك ، اجذبني اليك ، وأسكنّي في ظِلالك . درّعني قوّتك وعاملني بعفوك وافضالك ، ونقِّني من الادناس المظلمة ، وأنرني بالصور غير الهيولية ، أسمِعْني نغمات الذين بحمدك يسبّحون . واخلطني بزمرة الذين اياك يعبدون . ارفع عن

---

(١) ان المؤلف نعت هؤلاء الفلاسفة بالوثنيين او العالميين تمييزاً لهم من الفلاسفة المسيحيين الكنائسيين . ولما اقتصر على الصفة دون الموصوف استناداً الى القرينة وجرياً على اصطلاح علمائنا ، اخطأ جانسّن فهم الكلمة فخرج عن معنى المؤلف الصريح بقوله : celle des âmes profanes اي قيامة نفوس الاشخاص الوثنيين او العالميين . ومن هذا وما سبق يستدل على حداثة عهده في النقل السرياني وقلة اضطلاعه بلغتنا السريانية ؛ ومن كان هذا شأنه كان حقيقاً الا يقدم على دراسة مصنفات خطيرة لعلمآء نوابغ مثل المؤلف الجليل قبل التمهّر فيها .

(٢) انتهى التعبير الفلسفي .

عنقي اغلال الخطيّة ، واطلقني من رباط الهيولى الدنيّة . كي لا اعرف سواك ايها الآب الواجب الوجود ، وابنك المعلول الاول المولود منك وروحك القدوس الفعّال ومانح المنح والمواهب ، يا من يجب حمدك وتمجيدك على كل كائن حيّ دائماً دون انصرام الى ابد الآبدين آمين .

تمّ كتاب حديث الحكمة — بعون الثالوث الاقدس
الآله الحق له الحمد والشكران

وختم الناسخ نسخته ببيت شعر للمصنّف هذه ترجمته : كيف اعوم في هذا بحر العلم المنطقي ، وانا حافي القدمين وصفر اليدين والطريق مفزع ؟ ان كتاب (حديث الحكمة) ضفرت كل الحكم في سلكه ، بيد انّا لا نجد شيخاً ليثقّفنا فيه بودٍّ صادق .

﴿ فهرس ﴾

صفحة

مقدمة الناشر ١

مقدمة الكتاب ٣

الباب الاول في المنطق ٤

الباب الثاني

في العلم الطبيعي المشتمل على تناهي الابعاد وماهية الاجسام السموية والعنصرية واصناف النفوس. ١٨

الباب الثالث

في الكلام على تحقيق وجود واجب الوجود والصفات الكمالية المنسوبة اليه. ٣٢

الباب الرابع

في الكلام على نظام العالم والقضآء وحالة الانفس وبقائها والسعادة والعذاب واللذة الروحانية والآيات والنبوات والقيامة. ٤٦

﴿ اصلاح الخطأ ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١٤	تجارتهم	اجابتهم
٥	٢	سواء ان كان تمام مسماه او جزؤها	والكلّي اما ان يكون تمام ماهية مسماه او جزءها
٦	١٢	والشرطية ان كان مقدماً يسمى القضية	وفي الشرطية ان كان المقدم مرتبطاً بالتالي تسمى القضية
٧	٣	ليس كلّ	ليس كلاً
〃	٩	ولا يمكن	او لا يمكن
〃	١٩	واجب به	واجب
٨	٨	واحدة الموضوع	وحدة الموضوع
〃	١٦	بالضرورة لا	بالضرورة ان لا
٩	١٠	لانه المحمول	لان المحمول
١٠	٥	حسب	بحسب
〃	٩	كليتها	كلتيهما
〃	١٩	وعلى هذا القياس	وامضِ على هذا القياس
١١	٣	يكون	تكون
〃	١٩	احدهما	احدها
١٢	١	والثاني ان يكون	والثاني ان تكون
١٤	٣	وهذا الضرب	لهذا الضرب
١٧	١١	مخيّلات	متخيّلات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	١٢	مِرّةُ	مِرّةٌ
١٨	١٦	الترس	الترس المستدير
٢٢	٥	مضاف	بالاضافة
٢٤	١٥	هيولي	هيولى
٢٨	١١	انه للحيوان	للحيوان
٣٢	٢	الكلام في	في الكلام على
״	١١	من غير احالة	من غير اضافته
٣٨	٣	فصل ٦١	فصل ١٦
٤٣	١١	وتمريغ الخدود او حركات	وتمريغ الخدود او صدم الرُكَب بالارض وقد غلظت (اصابها الشَفَن) اوحركات
٥٣	٢١	فيها	فيهما
٥٩	١٥	او ان من يأكل يكون لها	او ان يكون لها
״	١٦	الحامض	من يأكل الحامض
״	״	والثابت كالطلسمات	والثالث كالطلسمات
٦٠	١٦	وهو	هو

حاشية : الطِلَّسْمات جمع طِلَّسم معرّب تالسموس ومعناه تكميل : وهو عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعّالة بالقوى الارضية المنفعلة بواسطة خطوط مخصوصة يستخدمها من يتعاطى هذا الفن الوهمي ليدفع كل مؤذٍ وربما اطلق ذلك على تلك الخطوط نفسها (عن اقرب الموارد).

DATE DUE

3 0 JA 1988

189:I13kA:c.3
ابن العبرى ،ابو الفرج يوحنا غريغورى
كتاب حديث الحكمة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01006870

189.I13kA C.3 N.O.
ابـن العبـــري
كـتاب حـديث الحكمـــة ٠
Borrower's Borrower's

189
I13kA
C.3

199 : Hala : C. 2